

صُورَةُ الْمُثَقَّفِ الْعَرَبِيِّ يَسَارِيًا

حوار مع محمود أمين العالم

« الجزء الثالث »

عبد النبي اصطيف

تقديم :

لاسهامات محمود أمين العالم ، في جوانب مختلفة من الثقافة العربية المعاصرة ، أهمية تتجاوز كونها قد ظهرت ضمن ظروف معينة من التاريخ الأدبي الحديث للوطن العربي . والحقيقة أن أبرز ما يلفت انتباه دارس العالم هو استمرار اسهاماته وتنوعها وانتشارها على جبهة زمانية ومكانية عريضة من جهة ، وانطلاقها من انشغال حقيقي واهتمام أصيل بالواقع العربي الثقافي وطموح في النهوض به الى مستويات أفضل من جهة أخرى .

ومن المؤسف حقا ، أن المكتبة العربية تكاد تخلو من تقويم جاد لاعماله ، وربما لم يكن العالم وحيدا في هذا المجال ، الا أن المستغرب أن لا تظهر قوة دينامية متجددة ، وفاعلة باستمرار بالاهتمام الجديرة به .

وكمحاولة متواضعة جدا في الحفز على قراءة جدية متمعنة للعالم، وفي اعطاء بعض المفاتيح لهذه القراءة، أعد صاحب هذه السطور حوارا مطولا في ثلاثة اجزاء، كرس الاول منه* لتغطية الجانب السري للعالم ولتقارب معطيات كافية عن تكوينه الثقافي يمكن ان ينظر اليها كبنية عميقة محددة لنتاجه او كاشفة لاصوله. وخصص الجزء الثاني منه** لسبر تجربته النقدية سواء ما تعلق بمجدداتها الثقافية، او بتطوراتها، اضافة الى الحديث عن التجربة النقدية العربية المعاصرة ككل، وتقويم العالم لها، كداخلي شارك فيها على امتداد عدة عقود. والجزء الثالث والاخير من هذا الحوار، والذي اضعه بين يدي القارئ العربي، ويشكل في جانب منه تنمة للجزء الثاني، يتحدث فيه العالم عن جملة من القضايا منها:

- ممارسته للعملية النقدية .
- مناقشة الجانب الاستقبالي في العملية النقدية او ما يمكن ان يدعى دور القارئ فيها .
- وحدة الادب العربي الحديث .
- مجلة اليسار العربي التي يشارك العالم في الاشراف على تحريرها.
- بقي ان اشير الى ان هذا الحوار قد اعد بين باريس واكسفورد في الفترة ما بين كانون الثاني وايار (يناير ومايو) من عام ١٩٨٠. وغني عن

* انظر :

عبد النبي اصطيف

« حوار مع محمود امين العالم : صورة المثقف العربي يساريا »

الموقف الادبي (دمشق) ، العدد ٢٣٢ ، نيسان ، ١٩٨٢ ، ص ٦٤ .

** انظر :

عبد النبي اصطيف

« أضواء على التجربة النقدية العربية المعاصرة »

الموقف الادبي (دمشق) ، العدد ٢٢١ ، ايار ، ١٩٨١ ص ٢٨ - ٣٨ .

القول انه لولا تعاون العالم المشكور وجهده واهتمامه لما ظهر هذا الحوار بشكله الذي آمل ان يجد القارئ العربي فيه ما يفني فهمه لتجربة العالم النقدية والفكرية .

الحوار :

* عبد النبي

دعنا نبدأ بممارستك للنقد . عندما تمارس النقد كيف تفهم العملية النقدية كمواجهة لنص معين - مهما كان طوله او قصره او الجنس الادبي الذي ينتمي اليه - من حيث هي شرح وتفسير وتقويم له من جهة ، وربط لبنيته الشكلية بالبنى الاجتماعية والثقافية والادبية السائدة من جهة اخرى ؟

** محمود أمين العالم

الممارسة النقدية في تجربتي هي محاولة اكتشاف لاسرار النص الادبي ولحقيقته . سواء في بنيته الداخلية : صياغة ومدلول . او في علاقته بالسياق الخارجي . تراثا وواقعا تاريخيا . وفي هذا يتشابك الداخل - الداخل (الصياغة / المضمون) والداخل - الخارج (الصياغة - المضمون / التراث - الواقع) تداخلا عضويا جدليا ، سلبا او ايجابا . لا يوجد في تقديري داخل ادبي محض ، كما يقال أحيانا - الصنيع الادبي ليس شيئا مصمتا . جامدا ، علينا ان نعكف على تحليل صخوره الداخلية فحسب . لا ، انه تعبير انساني ، خلاصة خبرة ذاتية - موضوعية . انه خارج داخل . وداخل خارج . حقا ، ان ادبيته تكمن أساسا في بنيته الداخلية . ولكن حتى هذه البنية الداخلية الابداعية هي كذلك امتداد لتراث لغوي ادبي - ارتدادا او تجديدا - وهي جزء من سياق دلالي تاريخي . ان النص جزء من سياق ، ولكن السياق نفسه تتحقق تحققا ابداعيا داخل النص . والممارسة النقدية في تجربتي هي محاولة الانارة والاضاءة لحقيقة العمل الادبي . حقيقته في ذاته غير المعزولة عن حقيقته التاريخية .

* عبد النبي

الملاحظ في الممارسات النقدية العربية المعاصرة - الحديث عن الممارسة
أسلم عندما يتعلق الامر بالنقد العربي الحديث - اهمال الجانب الاستقبالي
في العمل الفني ، أو بعبارة اخرى اهمال استجابات القارئ لهذا العمل .
وهذا - فيما يبدو لي - خلل كبير في العملية النقدية ، لان ثمة اجماعا
فيما اعتقد على ان هذه العملية تتضمن ثلاثة عناصر :

المبدع (بفتح الدال) أو العمل الفني

المبدع (بكسر الدال) أو منتج هذا العمل

المتلقي أو من يستهلك هذا العمل

واستجابات هذا الاخير ، فهمة لقواعد « اللعبة » العامة ، وتقديره
للجركات الخاصة بكل منتج أو مؤلف ضمن اطار هذه القواعد ، على درجة
كبيرة من الاهمية ، وعلى أي حال فالمبدع (بكسر الدال) - منتج العمل
الفني - يتوجه بعمله الى جمهور مهما كان نوعه ، وقد يكون هذا التوجه
ضمنيا ولكنه موجود . كيف تنظر الى هذه القضية .

** محمود امين العالم :

نعم الجانب الاستقبالي جزء من العمل الفني . هذا صحيح . ولكن
كيف نرصده تقديرا ؟ هذه قضية - بل مشكلة - كبيرة ! قد تستدعي مناهج
وأدوات رصد مختلفة تنتسب الى علوم اخرى ، أي مناهج وأدوات
احصائية واجتماعية بل سيكلوجية . وفي تقديري ان هذا الجانب من
الدراسة بهذا المعنى الاستقبالي الذي تشير اليه يفترض هذه الادوات
والمناهج التي هي خارج الدراسة النقدية المباشرة . على ان هناك ما يمكن
ان نسميه « الاثر الموضوعي للدب » ، الاثر الموضوعي لشعر هذا الشاعر ،
أو لروايات هذا الروائي ، أو لمسرحيات هذا الكاتب المسرحي ، أو لنقد
هذا الناقد ، في هذه المرحلة أو تلك من تاريخ أدبي معين . وهذا الاثر

لموضوعي يمكن دراسته - في اطار النقد الادبي - كما يمكن كذلك دراسته في اطار علم الادب ، بتتبع ما تركته أو أثرت به مدرسة أدبية ، أو تيار ابداعي ما ، في مجمل الحركة الادبية في عصر من العصور سلبا أو ايجابا . وهذه قضية اخرى غير قضية الجانب الاستقبالي المباشر للعمل الفني أو الادبي ، الذي لا سبيل الى رصده ودراسته الا بالاستعانة بمناهج وادوات اخرى كما ذكرت .



* عبد النبي :

هنالك قضية شائكة وهامة ، ولكن لم يتنبه لها الا نادرا ، وهي مسألة « وحدة الادب العربي الحديث » . الملاحظ ان الكثير من الدراسات العربية تنمو نموا قطريا في دراسة اية ظاهرة ادبية بمعزل عن تطور هذه الظاهرة في الاقطار العربية الاخرى - ودع عنك ربطيا باطارها الانساني العام فهذا ادخل بالدراسات المقارنة وهي قليلة والعناية بها محدودة في ثقافتنا العربية المعاصرة - والحجة الذهنية هنا هي الموضوعية ؛ مقتضيات البحث ، ضرورة التركيز على ظاهرة معينة في زمان ومكان معينين الى غير ذلك . أخشى ما يخشاه القوميون العرب أن تؤدي هذه الممارسات الى خلق حواجز ثقافية وادبية جديدة ومصطنعة بين الكيانات السياسية العربية القائمة والى تحقيق التجزئة والضياع والضعف في وقت نحن بأشد الحاجة فيه الى تجميع الجهود العربية كافة لتحقيق طموح الدولة العربية الواحدة القادرة على حماية حقوق العرب ومصالحهم وأراضيهم الى غير ذلك ، والكفيلة ببناء مستقل جديد للاجيال القادمة . ولا شك أن لديك ما تقوله هنا .

** محمود أمين العالم :

أخشى ما أخشاه النظرة « القومية المثالية » الى الابداع الادبي العربي ، فضلا عن الدراسة الادبية . ان وحدة الثقافة أو الادب العربي

لا تتحقق بتنميط هذا الادب وتسطيحه ، بل باكتشاف و ابراز كل ما يتفجر فيه من تنوعات بل وتناقضات . هناك وحدة قومية ، ترتبط بها وحدة ثقافية ، ولكن هذه الوحدة وتلك تتحقق عبر خصوصيات وتناقضات لا تلتفها بل تخصها . ومن واجبا أن نتبين التنوع داخل الوحدة ، والوحدة عبر التنوع ، بل لن نحقق الوحدة السياسية نفسها ، بغير احترام هذا التنوع ومراعاته . بل اقول ، انا بطمس هذا التنوع سنجهض الوحدة ذاتها ، او سنحققها تحقيقا تعسفيا سريعا سرعان ما يفضي الى تمزيقها من جديد .

لست أخشى هذه الدراسات التي تسميها قطرية ، انها بالفعل دراسات عينية لواقع عيني ، ولا بد من تشجيع وتعميق مثل هذه الدراسات . ما أحوجنا الى الخروج من الاحكام والتقييمات العامة . على اني واثق انه بقدر ما نخلص علميا في هذه الدراسات العينية المحلية سنكتشف ما فيها من روابط عامة ذات أفق قومي . سنكتشف العام والخاص ولن يفضي الخاص الى الفناء العام . طبعاً ليس معنى هذا الدعوة الى قصر الدراسة على الظواهر المحلية ، بل لا بد كذلك من تلك الدراسات ذات الطابع القومي والتي لا ينبغي كذلك أن تتغافل عن الفروق الخاصة .

إن الوحدة فكر او ادبا وسياسة ، لن نحققها بالتعسف وبفرض صيفها من خارجها ، او من أعلى ، وانما بتعميق وتنمية كل آلياتها ودينامياتها الخاصة والعامة ، بالتوعية والفعل المشترك : - السياسي والثقافي - وبالديموقراطية .



* عبد النبي :

ما زال المثقف العربي حائرا في اتخاذ موقف حازم وحاسم معا مما يجري في الوطن العربي ، فهو من جهة حريص على أن يسهم في أي تغيير نحو الافضل في مختلف اوجه الحياة العربية ، وهو من جهة أخرى يرى

نفسه بعيدا عن مراكز التأثير في عملية التغيير هذه ، ودع عنك مسألة توجيهها أو التحكم فيها .

مقولتها « الفكر ممارسة » ، و « المثقف الذي يمارس ما يؤمن به » غابتا مع الخمسينات . نحن الآن في الثمانينات ، وليس ثمة من حل لمعضلة هذا المثقف . أنت مثقف مخضرم . لك حضورك الثقافي في الخمسينات والستينات والسبعينات ، وسلوكك وممارساتك يعكسان بوضوح تمسكا بمقولة أن الفكر ممارسة ، وأنه ما لم يكن كذلك فإنه لا جدوى منه . ما هي كلمتك الى المثقف العربي في بداية الثمانينات ؟

*** محمود أمين العالم :

ليس لي كلمة أقولها غير كلمة التقدير والاكبار لاجيال جديدة من المثقفين العرب الذين تمتلئ بهم سجون القهر ، وساحات الاستشهاد ، وآفاق التشرذم والالتجاء والتغرب . لا يا صديقي ، المثقف العربي بخير . مقولته « الفكر ممارسة » ما تزال ، بل تزداد توهجا وعمقا على أيدي الكثير من المثقفين وبتضحياتهم وابداعاتهم . حقا ، هناك من تخلوا ، هناك من نكصوا ، هناك من يؤثرون السلامة ، هناك من يتفرجون . هناك من يتعالون وهي ظواهر طبيعية في كل مرحلة . الوضع العربي بالغ القسوة ، بالغ التعقيد ، بالغ المهانة ، ولعل هذا أن يستدعي جهودا أكبر وأعمق وأكثر فعالية ، وخاصة من جانب المثقفين العرب . وربما كانت أهم هذه الجهود هي الوحدة ، وحدة العمل والنضال بين صفوف المثقفين العرب . إن تشتت الجهود اضعاف لها نفسها ، وهو بالطبع لا يساعد على تنميتها .

★ ★ ★

✱ عبد النبي :

هل تعمل الآن في التحضير لأي كتاب ، وهل ثمة مشاريع معينة في طريقها الى الظهور في أي ميدان من ميادين اهتماماتك الثقافية (الفكر ، الفلسفة ، النقد الادبي) .

*** محمود أمين العالم :

هناك العديد من المشروعات ، بل ان بعضها على وشك الانتهاء ، وإن كان الامر يحتاج الى بعض التفرغ الذي لا اكاد أجده .

انتظر دائما الصيف ، فاذا جاء الصيف جاءت معه مشاغل أخرى .
عندي كتاب أحتاج الى بضعة أسابيع للانتهاء منه وهو عن « ابن خلدون »
وهناك كتاب آخر يضم بعض دراسات « في الفلسفة العربية الإسلامية »
وثالث عن « الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر » ورابع عن
الادب العربي ، يضم مقالات قديمة سبق أن نشرت مع اضافة لبعض
مقالات جديدة لم تنشر بعد . وكل ما آمله هو أن أتفرغ قريبا
لاعدادها للنشر .



*** عبد النبي :

في حديثك عن تكوينك الثقافي - النقدي نشير الى كتابات طه حسين
(في الشعر الجاهلي ، حديث الأربعاء) وسلامة موسى ولويس عوض
(وتقدمهما الذي ينمو نموا اجتماعيا) وأمين الخولي ومدرسته والعقاد
(واهتماماتهما بالمدخل النفسي للادب) .

قد يوحي هذا بنوع من التكاملية في نظرتك النقدية ، ولكنني أعتقد
أن الامر أكثر تعقيدا من مسألة بين الجمع بين هذه المناحي من التوجهات .
هل لك أن توضح مكانة هذه المكونات في بلورة نظرتك الى الادب ؟

*** محمود أمين العالم :

أخاف اليوم من كلمة « تكاملية » ، هذه الكلمة التي كانت عزيزة الى
نفسي في يوم من الايام . « التكاملية » توحى الي دائما بالتوفيقية
والتوازنية ، وتساوي العوامل المؤثرة ، وهذا ما أرفضه منهجيا وعلميا .

القراءات التي تفضلت بالاشارة اليها كانت جزءا من مراحل التكوين ،
 أو من مصادر الاشكال النفسي والفكري ، وهي بغير شك قد اغنت فكري
 ونفسي . وعندما اقول انني تجاوزتها ، فذلك بالمعنى الجدلي لا بالمعنى
 الميكانيكي الاطلاقي . على اني في الحقيقة عندما اغوص داخل نفسي واتامل
 موجهاتي الاولى اتبين امرين مبكرين ، ما زال في الحقيقة يوجهان او
 بالاحرى يشكلان تشكيلا قلقا خطواتي ، هما **الشعر والعلم** . ما ازل اذكر
 اول كتاب قرأته بعناية فائقة في دراستي الابتدائية وكنت قد حصلت
 عليه لتفوقي : هو كتاب ليعقوب صروف عن العلم واسراره لا اذكر اسمه
 بالدقة الآن ، لعله « اسرار العلم الحديث » او « آفاق العلم الحديث » .
 لقد تشربت هذا الكتاب تشربا . ومنذ هذه الايام الاولى من دراستي
 الابتدائية كنت اهتم بالعلم النظري والتطبيقي . وفي نفس الوقت كنت
 اعيش في بيت يطفئ عليه طيفانا كاملا الجو الديني والجو الادبي .

في تقديري ، **بين الحلم الشعري ، والدقة العلمية** تشكلت ونمت
 مفاتيح نظرتي عامة منذ البداية . والحقيقة اني وقفت مع طه حسين عند
 المنهج اكثر ما وقفت عند ابداعه الادبي . وعندما التقينا لأول مرة عام
 ١٩٤٦ سرعان ما تحول حديثنا عن الادب الى حديث عن المنهج العلمي
 للثورات . وانشغالي بعد ذلك بعلم النفس كان في الحقيقة انشغالا بالمنهج
 كذلك . كنت بالفعل اقدر مدرسة امين الخولي ، ولكن تأثير يوسف مراد
 كان اكثر عمقا . شاركت مشاركة جادة في **مجلة علم النفس التكاملي** ،
 وكنت احلم بالفعل ، مع د. يوسف مراد ، بمنهج جديد في علم النفس
 يجمع بين المدرسة التكوينية الفرويدية والمدرسة الجشطالطية
 الطبولوجية . وكنا نبحث عن صيغة واحدة تجمع بين **الفسولوجيا**
والسوسولوجيا . كانت القضية قضية منهج . وعندما التقيت في بداية
 حياتي الجامعية بكل من لويس عوض (الماركسي) وعبد الرحمن بدوي
 (الوجودي) كانا معا يمثلان عندي تكاملا منهجيا ، ولكنه كان تكاملا

قلقا .. وتوازنا مختلا داخل نفسي . فلويس عوض لم يكن ماركسيا مقنعا (وما اظنه كان ماركسيا ابدا) وعبد الرحمن بدوي كان يغلب على وجوديته الطابع العقلاني . اذكر انني عندما قرأت كتابه « الزمان الوجودي » سكرت انا وصديقي عباس احمد سكرة عنيفة وذهبنا الى عبد الرحمن بدوي لنحاكمه في بيته ، لانه حول التجربة الوجودية الى مقولات جافة ، ولحسن حظنا اعتذر عن عدم لقائنا .

اردت ان اقول ان هؤلاء جميعا وغيرهم كانوا مراحل في الرحلة القلقة ، يفدونها تارة بالسلب وتارة بالايجاب . واذا كان لهم فضل ، وما اكثر بالفعل فضلهم جميعا علي ، فذلك هو انني عندما تبلورت نظرتي في النهاية، وبرغم اختلاف نظرتي عن نظرتهم ، فاني اشعر بخصوصيتهم في نفسي ، اثرهم في تخصيص نظرتي ، رؤيتي نفسها . انني ادرك حقيقة المسافة بينهم وبينني ، ولكنني اقدر بعمق ومحبة حقيقة مساهماتهم . ولعل هذا ما جعلني - انا الماركسي المتهم بالارثوذكسية - لا انقطع ابدا لا عن تراثهم فقط تفهما واستلهاما وتقديرا ، بل عن تراث الماضي كله بكل تياراته واتجاهاته . ان الاستيعاب النقدي - لا الرفض او التعالي - هو موقفي من التراث العربي خاصة ، وهو موقفي من التراث الاوربي عامة ، وفي تقديري انه الموقف الماركسي الصحيح .

* عبد النبي :

انت في باريس منذ اعوام ، تدرس الفلسفة ، وتشارك في الحياة الثقافية العامة فيها ، بدراساتك ومقالاتك وندواتك الى غير ذلك ؛ اضافة الى مساهماتك في الحياة الثقافية العربية هنا وهناك في هذا القطر العربي او ذلك من خلال زيارة قصيرة او مشاركة بمقالة او دراسة او ندوة . ما الذي يبقيك في باريس وانت غريب الوجه واليد - لا اللسان بالطبع - لانها مدينة الحرية ؟

** محمود امين العالم :

يبقيني انني لا استطيع ان اعود الى مصر واحتفظ فيها بحريتي .
 لست اخاف من السجن ، ولكني لا احب ان احتجز عن النضال والعمل .
 في عام ١٩٧٧ قررت العودة ، ثم حدثت احداث جعلت من عودتي عودة الى
 السجن . انتظر عودتي الى القاهرة بين لحظة واخرى . صدقني . ولعلك
 تسأل لماذا باريس ؟ لماذا لا اكون في اي بلد عربي آخر ؟ الحق انني لست في
 باريس من اجل ان ادرس واتعيش ، وانما من اجل حريتي في ان اناضل
 اساساً . وهذا ما قد يحول بيني وبين تواجدي في اي مكان آخر .



* عبد النبي :

هل لنا ان نتقل الى مجلة « اليسار العربي » ونسأل عن سبب
 صدورها في باريس !

** محمود امين العالم :

« اليسار العربي » كانت مشروعا مقدما الى جمال عبد الناصر في
 الاسابيع الاخيرة من حياته . ومات عبد الناصر دون ان يرى المشروع
 النور . وتغير الوضع في مصر . وكان على « اليسار العربي » ان تصدر
 خارج مصر . ولكن من اجل مصر ، او بتعبير ادق ، من اجل وحدة كل
 القوى الوطنية الديمقراطية العربية . في البداية فكرنا في ان نصدر مجلة
 في باريس لهذا الهدف نسميها « العروة الوثقى الجديدة » . ثم وثب الى
 خاطري مشروع « اليسار العربي » القديم ، فضلا عن ان القضية اليوم
 في الحقيقة هي بلورة كل القوى اليسارية العربية ، وبالقوى اليسارية ،
 اعني كل القوى المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، التي

تناضل من أجل الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي والوحدة القومية الديمقراطية .

لقد كان من الصعب ان تصدر « اليسار العربي » من اي بلد عربي .
إن ذلك يعني ان تخضع للاطار الفكري والسياسي السائد في هذا البلد .
وهذا ما نحاول جاهدين ان نتجنبه . نحن نحرض على ان نحافظ بكلمتنا
الحرّة المستقلة ، وبروح النقد البناء ازاء مختلف الانظمة العربية بغير
استثناء . هناك طبعا اختلاف بين نظام كمنظمة السادات وانظمة عربية
اخرى ولهذا يختلف موقفنا كذلك باختلاف موقف كل نظام من القضايا
الوطنية والديموقراطية والقومية عامة . ولكننا لا نعبر عن نظام وانما نعبر
عن فلسفة وسياسة .

